

المحاضرة الرابعة

أنواع السياق

عناصر المحاضرة:

1. مقدمة

2. أنواع السياق

1.2. السياق النصي

2.2. السياق الوجودي

3.2. السياق المقامي

4.2. سياق الفعل

3. عناصر السياق

مقدمة:

يستند الكثير من التداوليين إلى معيار السياق لتصنيف التداوليات، إذ يرونه من أيسر الطرق التي تمكنهم من تصنيف استراتيجيات الخطابات التداولية، فهم يقسمونه إلى أكثر من قسم، مع الفصل بين ما ينسب للغة، وما ينسب إلى العناصر التي تؤثر تشكيلها خطابياً، ولعلّ من أبرز هذه الأقسام نذكر:

1. أنواع السياق:

1.2. السياق النصي/السياق اللغوي:

أو ما يعرف بنحو النص الذي يسعى إلى تحليل الوحدات اللغوية الكبرى مثل العبارة وأجزاء الخطاب، إيماناً منه بوجود علاقات تتجاوز الجملة، تسهم في تماسك النص بوصفه نظاماً أكبر من النحو الذي اعتمده اللسانيات البنيوية والنظرية النحو التوليدي معياراً في دراسة التركيب الذي لا يتجاوز في نظرهم الجملة، وعليه فالمراد بنحو النص هو فهم أوجه الترابط المتجاوزة للجملة، وتغير التركيب في كل جملة على أساس المعطيات النصية (القرائن).

ويتيح نحو النص وتحليل الخطاب بعض الآليات لتحليل الوحدات اللغوية الكبرى، مثل العبارة وأجزاء الخطاب في المحادثات، والكشف عن علاقات تتجاوز الإحالة بين الجمل، قصد الوقوف على آليات تماسك النص، بوصفه نظاماً أكبر في النحو، ليتمكن المرسل إليه من اكتشاف دلالة هذه الوحدات الكبرى.

وإذ يجعل أصحاب هذا الطرح «العامل النحوي المعيار الأول في ربط مكونات النص السطحي، والكلمات والتماسك الدلالي المعيار الثاني»¹، الأمر الذي يجعل النص

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص42.

«حدث اتصالي تتحقق نصيته إذ اجتمعت له سبع معايير، وهي الربط والتماسك والقصدية و المقبولية والإخبارية والموقفية والتناص»².

وعليه فالسياق النصي(اللغوي) يرتبط بالجانب التركيبي للغة من حيث تحديد معنى الوحدات اللغوية انطلاقاً مما يليها وما بعدها، وهو ما أشار إليه ديبيوا (Dubois) في كتابه قاموس اللسانيات حين قال: «يسمى السياق أو السياق القولي مجموعة النصوص التي فيها تموضع (تحدد) وحدة لغوية معينة، أي العناصر التي تسبق والتي تلحق هذه الوحدة»³، فهو مجموع العلاقات الداخلية التي تتحكم في دلالة النص وتمنح وحداته معناها السياقي. وهو ما يحتم الفصل بين عوامل النص الخارجة عن السياق، وعوامل النص الداخلة فيه ف« بينما تبحث العوامل الخارجة عن السياق في إطار الاتصال النصي، وتداولية النص، تظهر العوامل الداخلة في النص، وفي نحو النص، وأسلوب النص »⁴، مما يعني أن نحو النص هو فهم أوجه الترابط المتجاوزة للجملة، وتغيير التركيب في كل جملة على أساس معطيات نصية، ولكنه من الملاحظ أنه من الصعب تفسير التماسك النصي كصنف نحوي صرف، إذ من المهم النظر إليه من خلال علاقته بالإجراءات الاجتماعية والنفسية...إلخ.

1. 2. السياق الوجودي:

يدعي المناطقة على عكس البنيويين مثلاً أن التتابعات اللغوية أو السيميائية تكتسب معانيها من خلال علاقتها بمراجعها، ويتضمن هذا السياق المرجعي بطبعه عالم الأشياء حالتها، الأحداث، الوقائع...إلخ، والتي ترجع إليها التغيرات اللغوية، ويتم الانتقال من الدلالة إلى التخاطبية حالما يدرك أن « المرسل والمرسل إليه وكذا موقعهم الزماني والمكاني هي مؤشرات للسياق الوجودي، وعندما توضع هذه العناصر قي الاعتبار، فإنه

² سعيد حسين البحيري: علم لغة النص-المفاهيم والإتجاهات- الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان.مصر. ط1. 1997.ص.145.

³ . JEAN DUBOIS ET autre: dictionnaire de linguistique .larouse .paris .1999 .p116 .

⁴ سعيد حسن البحيري: علم لغة النص.ص.148.

يمكن وصف معنى التعبيرات اللغوية أشارياً، بما يقود إلى صنف إشاري الدلالة⁵، أي أن الكشف عن دلالة بعض الملفوظات لا يتم إلا بالكشف عن العلاقة الموجودة بين اللفظ ومرجعه الخارجي، الذي يتجاوز نحو النص.

3.1. السياق المقامي:

ويراد به مجموع العوامل والمحددات الخارجية التي تسهم في تحديد معاني التعبيرات اللغوية، فالمقامات بوصفها سياقاً هي صنف متأصل في المحددات الاجتماعية، ففي الوقت الذي يعبر المرسل عن مكونات العالم الحقيقي، أو عن العالم الممكن بتعبيرات لغوية، فإن السياق المقامي يوفر جزئياً بعض العوامل أو المحددات التي تسهم في تحديد المعايير اللغوية، والمقامات بوصفها سياقاً.

فهي صنف متأصل في المحددات الاجتماعية، فقد يكون هذا السياق إطاراً للمؤسسات (محطة، مدرسة، شارع)، أو أوضاع الحياة اليومية (تسوق، عمل)، وعليه فالسياق المقامي هو مجموع الشروط الطبيعية والاجتماعية والثقافية التي يتحدد بها كل ملفوظ أو خطاب، إنها المعطيات المشتركة للمرسل والمتلقي حول الحالة الثقافية والنفسية والخبرات والمعارف لكل واحد منهم، إذ توطر هذه المحددات خصائص المحادثة في النصوص الكبرى، وكذلك في بناء الخطاب الإقناعي والحجاجي من خلال قوانين وأنظمة معينة، ويقدم علماء اللغة الاجتماعيين تصنيفاً ودراسة للسياقات المؤسساتية، والدور الذي يمكن أن يلعبه كل من طرفي الخطاب فيها.

1. 3. سياق الفعل:

لا تكاد تنحصر المقامات التي تحديد دلالة التعابير سيميائياً، ونحوياً، لذلك تعد الأفعال اللغوية أصنافاً جزئية من السياق المقامي إذ أن «التسلسلات اللغوية تعبر عن

⁵ عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب. ص43.

أفعال بل هي الأفعال نفسها»⁶ ، فلم تعد هناك جمل وصفية بحتة دون معنى ثابت، ودون أن تكون منطوقات أدائية، إذ تبين في مراحل متأخرة من نظرية الأفعال الكلامية أن كل الجمل تقال لتكون لها قوة تسمى بالقوى الإنجازية، التي لا تتحقق إلاً بادراك طرفي الخطاب دور العرف الاجتماعي أي التعاقد في إنتاج اللغة وفهمها، فاللغة في جميع البيئات والمجتمعات محكومة بمعايير دقيقة، يجب مراعاتها، حتى يتحقق الشق الإنجازي لها.

وتنظر المدرسة التداولية إلى هذا النوع من السياق نظرة تعظيم ووقار، فهي تراه ركناً ركيناً في عملية التواصل، باعتبار أن اللغة هي أفعال لغوية إرادية، إذ يقصد المرسل إنجازها، ويريد أن يدرك المرسل إليه هذا القصد، ويمكن أن يضاف الشرط التفاعلي لتصبح الأفعال اللغوية التي يشارك بها الآخرين ضمن السياق التواصلي، بل هي السياق الدافع لإنتاج الخطاب لاحقاً، و السبيل لتحقيق نجاحه إضافة إلى عناصر أخرى كمبدأ التعاون في الحوار والتأكيد على أهمية قواعده في عملية التخاطب، حتى يكون علاقة التفاعل أقوى بين طرفي الخطاب، إذ لا يحصل التواصل أو الإدراك دون تفاعل تعاوني ومنسق.

2. عناصر السياق:

2-1- المرسل:

وهو الذات المحورية في إنتاج الخطاب، لأنه هو الذي يتلفظ به من أجل التعبير عن مقاصد مختلفة، ولأجل تحقيق أهداف متنوعة؛ اعتماداً عن إستراتيجية خطابية تمتد من مرحلة تحليل السياق ذهنياً، إلى اختيار العلامات اللغوية المناسبة بما يضمن تحقيق منفعته، إذ لا يمكن للغة أن تتجسد، وتمارس دورها الحقيقي إلاً من خلال المرسل الذي يحولها من وجودها الصوري في الذهن إلى كفاءة فعلية، تقوم بوظائف اجتماعية مختلفة.

⁶ عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب.ص43.

فلا يستطيع الخطاب أن يكون كذلك « إلا إذا تلفظ به المرسل ومرد ذلك، إلى أن الجملة اللغوية لا تكون إلا إذا قالها متكلم؛ فهذا يبين أن الصحة المعنوية رهينة مستعمل الجملة في مقام معين ...»⁷؛ وإن كان حضوره لا يقتصر على لحظة التلفظ بالخطاب، بل قد تستمر ما بقي الخطاب ذاته كالإعلانات التجارية والخطابات القارة، وهذا لا يتأتى إلا إذا تمتع المرسل بشرط الكفاءة والأهلية، التي تمنحه القدرة على الإنجاز .

2-2- المرسل إليه :

وهو الطرف الآخر الذي يوجه إليه المرسل خطابه متعمداً؛ وقد أشار اللغويون العرب قديماً إلى تأثير المرسل إليه على المرسل في إنتاج خطابه، إذ أبرزوا صورته في مستوى الخطاب من خلال التذكير والتأنيث، والعدد وأسماء الإشارة... إلخ، وكذا على مستوى البلاغة من حيث مراعاة أحواله .

ويتجلى حضور المرسل إليه تداولياً من خلال استحضاره الدائم من طرف المرسل قبل إنتاج خطابه وأثناءه وبعده ،سواءً كان الحضور عينياً أو استحضاراً ذهنياً، « وهذا الشخوص أو الاستحضار للمرسل إليه هو ما يسهم في حركة الخطاب، بل يسهم في قدرة المرسل التتويعية، ويمنحه أفقاً لممارسة واختيار الخطاب ...»⁸.

هذا التنوع الذي يرتبط أساساً بإمام المرسل التام بكل الأوضاع التخاطبية والتواصلية المحفوفة بالقول أن العلاقة بين الخطاب والمتلقي ،هي علاقة بين « جميع عناصر (الخطاب) وبنيته التنظيمية ،وبين إنسان له انفعالاته ،ووضعه الاجتماعي وثقافته... فهو لا يتلقاه بحيادية مطلقة... بل يتلقاه ضمن الإطار النفسي والاجتماعي والثقافي ... إلخ

⁷ الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص 46.

⁸ المرجع نفسه، ص 48.

لشخصيته»⁹؛ ومما سبق يتبين أنه لا يوجد خطاب من غير متلقٍ ، فهو إمّا حاضر حضوراً عينياً أو هو مفترض منذ البداية.

2-3-العناصر المشتركة:

إن خاصية التفاعل الحاصل بين طرفي الخطاب، لا تكتسي صفة الإنجازية إلا بتوفر جملة من العوامل المشتركة التي تقرب التباعد الحاصل بينهما؛ والتي تعد الأرضية المشتركة بين الطرفين؛ إذ يعوّل عليها المرسل في إنتاج خطابه، كما يعول عليها المرسل إليه في تأويله، ومن هذه العوامل نذكر :

-المعرفة المشتركة بنظام اللغة في جميع مستوياتها، وعلاقتها باستعمالها في إطارها الثقافي، بما يعزز المعرفة التداولية للغة؛ وبالتالي كفاءة المرسل التفاعلية، التي تؤسس «ترابط ضروب الاتفاق و التواطؤ للقيام بالفعل المشترك الإنجاز...»¹⁰ .

-المعرفة المشتركة بالعالم الخارجي: وتتضمن مجمل « الظروف و العلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة...في الماضي والحاضر، ثم التراث والفلكلور والعادات والتقاليد، والمعتقدات والخزعات...»¹¹؛ بالإضافة إلى نمط التفكير.

رمضان الصباغ: النظرية الجمالية السياقية عند ستيغن بيير .دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر .الإسكندرية .د/ط.د/ت. ص 75⁹

¹⁰ فان ديك. النص والسياق. ص258.

¹¹ خليل عبد المنعم : نظرية السياق بين القدماء والمحدثين -دراسة لغوية نحوية دلالية- دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.الإسكندرية .ط.1. 2007. ص 322.